رأي صحافي

في عدد سوريا المنكوبة

*****

(تكرم الوصيف النبيل جورج حداد صاحب جريدة « القلم الحديدي » في البرازيل بارسال هذه المقالة الى الفنون وفيها من الحمية الوطنية والعواطف الثائرة ما ينم عما في صدر كاتبها من الحماسة والغيرة على الشواطر .)

الحزن الوطني

﴿ كتبت الساعة الثانية بعد نصف الليل ﴾

وصلني العدد الخامس من « الفنون » فابقيته مع شيره من الجرائد التي وصلتني في البريد برسم المطالعة ليلاً ، ثم في سريري وانهمكت مبتدئاً بمطالعة الجرائد الاخرى باكثر سرعة ممكنة لاطالع عدد الفنون « عدد الحزن » « عدد سوريا المنكودة الحظ !

كانت الساعة الثانية عشرة لما بدأت بمطالعة الفنون وقد حيّاني رجل الانسان وضجات مدنيته المزعجة . اول ما « دقيت » بمقالة « مات اهلي » فلم آت على آخرها حتى ظهر لي شبح الجوع — شبح الموت الابيض — وقد وقف في آخر سريري ولكن بجسم شفاف جداً غير انه ظاهر لعين الحزن فانتبهت ورجفت حقيقة ثم استويت جالساً في سريري بعدما أدرت [illegible]

على جبهتي وعيني محاولاً اطباقهما قليلاً لتغيير المنظر او للتلهي بالطبيعة وتكفي هنيهة حتى تدمت على هذا وفتحتهما بسرعة أطالع « مهرجان الموت » ويا له من مهرجان وموت ! طالعت هذا المهرجان او بالحري « بورغرام » حفلة عرس تلك الصبية فلم آتِ على آخره ايضاً حتى انتقلت افكاري بسرعة تصور الالمة . فطارت الى ربوع سوريا — الى ربوع بلادي — الى الارض التي ولدتني فيها امي — فسمعت باذني حفيف شجر الصنوبر في لبنان ورنات اجراس القرى من بعيد . ثم خيل لي حقيقة وليس تصوراً اني اشاهد كروم العنب والتين اللبناني الابيض والصبايا مثل « سليمة » يقطفنه ويعرضنه علي لاكله بكرم حاتمي وضيافة شرقية وقلوب فرحة . وسبب فرحها غير ان الغريب جبر خاطرها فتناول من هديتها . ثم خيل لي ايضاً اني آكل الخبز المرقوق والبيض المقلي بالسمن او بزيت زيتون الالمة ! ثم سمعت صوت عمتي وبناتها يقلن لي لماذا لم تدعُ اصدقاءك ليأكلوا معنا ! وهل الاكل له قيمة هنا يا عمتي ؟ خيل لي ايضاً اني ارى الجبن الابيض مع خيار الحقل مكوماً في الاطباق المصنوعة من العيدان « والعيش يا من عاش » تصورت اني ارى اللحم معلقاً في الدكاكين والناس يشترونه ويشكرونه في العيدان حيث يرجعون به الى البيت والخبز على الاطباق « تتناتشه » الكلاب اذ تركتهم به في السوق وصاحب الخبز الشرقي الكريم يقول « خليهم يأكلوا دفع بلاء » فهل دفع عنكم الله هذا البلاء ايها الاخوان المساكين ؟ تصورت كل هذا وكل تلك السعادة الشرقية والخيرات الوافية ولما جئت لاتصور الجوع

خائفتي الروح التي لا تريد ان تنظر الى تلك الفظاعة الماثلة وعادت ، فرجعت الى جسدي في سان باولو فلم اجد امامي الا شبح الموت الذي رأيته اولاً وقد تجسم اكثر فاكثر من مقالة المهرجان وخصوصاً لان الليل زاد في السكون حتى اذا وصلت الى صورة الطاعون للمصور الشهير بوكلن قبل مقالة الجوع للريحاني ارتعدت لان ما تصورته تصوراً رأيته مصوراً ، فنهضت من السرير لاجلب سيكارة من جيبي وأدخنها لعلها تذهب عني بعض هذه الاشباح المقلقة ، واذا بي ارى ابني الصغير الذي عمره ست سنوات نائماً في سريره ، فوقفت اتأمله ثم تصورته يقول لي يا بابا يدي آكل !!

آه يا الهي ! ان الجمرة قد أحرقت الان لانها قد وضعت على اللحم !! فجمدت في مكاني كأني امرأة لوط او تمثال في متحف العاديات ونسيت السيكارة التي بين اصابعي وعلبة الكبريت التي في يدي الاخرى تأملت طويلاً في هذا المشهد فؤاد هول المصاب وتصورت برابرة الاجانب يخطفون من فم هذا الغلام السوري لقمة الحياة فغضبت ولكن لوحدي وشتمت متهدداً بقبضة يدي السماء ، ثم عادت تلك اليد فارتخت وانحلت تلك الاصابع فاستسلمت عضلاتها المرتجفة للقبض على عود الكبريت واشعال السيكارة التي خرج دخان نفسها الاول من فمي كلعنة انون ازوف وعدت بانكسار الى سريري ، وعدت الى مطالعة الفنون ، والجوع ، للريحاني فلم آت على آخر المقالة حتى تصورت هول الجوع حقيقة وكرهت الحياة والمآكل الطيبة ولعنت الانسانية التي لا تتألم مع الغير الا بالتجربة كما فعل هذا الوطني

انهيت المقالة فدقت الساعة الواحدة بعد نصف الليل فذكرني صوت رنتها المنفرد برنة جرس الحزن . فاخذت الريحاني وجبران ونعيمه الذين احضروا اشباح الموت بمقالاتهم الى غرفتي ! حتى اذا وصلت الى « صبر ايوب » وثبت من السرير وعدت ايضاً الى جيبي لتجديد التدخين . ورأيت ابني الشبعان لم يزل نائماً فنسيت انه في البرازيل وان بطنه ملآن طعاماً جعله ان ينام نوماً هادئاً كهذا . ما هذا الهول وما هذه الضربة وماذا تشاهد الانسانية والعالم المتمدن عالم البرق والبخار وسرعة المواصلات ؟ كل هذا الاحتجاج باطل الاباطيل عدت الى سريري بانكسار وعدت الى مطالعة الفنون « وصبر ايوب » فضاق صدري وعيل صبري وانت « انتَ عاجز » على درب الصليب ! ! فاطبقت المجلة واطفأت النور وحاولت النوم ولكن كيف ومضجعي قد تحوّل الى شوك ومخدتي الناعمة الى حجارة صوّان حادة فنهضت مذعوراً ولعنت « الفنون » مرة اخرى واسرعت الى مكتبي وقد ساد سكون الليل . ودقت الساعة الثانية لما جلست فاخذت القلم ليس لاكتب بل لاصور شعوري ازاء هذه النكبة تصويراً لاني كنت حفاراً قبل ان امسك القلم . فرأيت نفسي عاجزاً عن تصوير حزني وتعاستي وقد بردت اصابعي حتى صارت كالثلج من البرد والحزن فكنت اكتب هذا واترك القلم من وقت لاخر لافرك راحتي ببعضها فركاً شديداً لاكتسب حرارة كاذبة كما اننا نحن السوريين القاطنين في القارتين الاميركيتين نكتسب تعزية فارغة وكاذبة بقولنا ان الموت في سوريا مبالغ فيه . فموت مئة وموت الف والوف من

الجوع في نظري على السواء ! فيا لك من مصاب ويا لكم من كتّاب ويا لكم من مصورين تصورون الحقيقة من الخيال وما الخيال المزعج الذي صورتموه لنا الا الحقيقة المخيفة . فصبراً يا بني الاوطان صبراً . انتم تموتون بالجسد واخوانكم ذوي الشعور فيما وراء البحار يموتون معكم بالروح فكانا يا ابناء الوطن واحد لنا وطن فرد وان تعددت بنا الاسماء

دقت الساعة الرابعة فصاح الديك وانتهت مقالة الحزن الوطني .

جورج حداد

صاحب جريدة القلم الجديدي

حازت أكثرية التصويت الشهري لعدد كانون الاول مقالة « صباح العيد » لتوفيق حلال . وتليها « الاباء والبنون » لميخائيل نعيمه . وحازت الاكثرية في الشعر قصيدة « بالامس » لجبران خليل جبران

ادارة الفنون بحاجة الى الاعداد ال ١ و٢ و٤ و٧ من السنة الحالية فمن كان يقتني عنها فليتكرم بارسالها والادارة تدفع له الثمن مقايضة أو نقداً

نعلن القراء ان ادارة تحرير المجلة لا تقسر الادباء مساعديها في التحرير على اتخاذ مبادىء المجلة ونظراتها مبادىء ونظرات لهم يمشون بموجبها . ولذلك قد يحدث ان تنشر في المجلة أبحاثاً شتى فيها ما هو مضاد لارائنا في تقدير بعض الاشياء أو انتقاد بعض الامور (نقلاً عن السنة الاولى من الفنون)